قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النحو الوظيفي) سنة ثالثة ليسانس، تخصص: لسانيات عامة

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 01

يوم: 2021/04/20

عنـــوان المحاضرة: مراحل الدرس اللساني الحديث

محاور المحاضرة:

1-مرحلة الداليات.

2-مرحلة الدلاليات.

3-مرحلة التداوليات.

4-التيار التداولي.

5-علاقة اللسانيات التداولية بالنحو الوظيفي.

ترجع الإرهاصات الأولى للثورات الحاصلة في اللسانيات إلى التفكير حول العلامة (signe) بصفة عامة سواء كانت لسانية أو غير لسانية، يعود الفضل فيه إلى البحوث الجادة التي قام بها بعض الفلاسفة وعلى رأسهم **شارل بيرس** وبعض اللغويين وعلى رأسهم **سوسير** فقد جعل الأول للعالمة ثلاثة أبعاد: دال، مدلول، مرجع، وهو البعد الذي سيكون له شأن كبير في الثورة الثالثة.

أما الآخر فقد ركز على العلامة اللسانية، واقتصر فيها على ثنائية الدال والمدلول، ومع ذلك فإن الفضل في تفجير الثورات الثلاثة يعود إليه؛ لأنّه من جهة لم يهمل المرجع، وإنما حرصه على الصرامة المنهجية والدقة العلمية، جعله يسند مرجع العلامة اللغوية إلى علم آخر سماه السيميولوجيا، وهي في رأيه أوسع من اللسانيات.

ويبدو أن المثلث السوسيري هو الذي شكل المراحل الزمنية الكبرى للسانيات الحديثة، بامتداد قاعدته على مرحلة زمنية عرفت بالبنويّة، تميّزت بتركيزها على تجريد الأنساق اللغوية وتقنينها، وقد انطلقت هذه المرحلة بصدور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" سنة 1916 وانتهت بصدور مؤلّف تشومسكي "البنى التركيبيّة" سنة 1957.

وقد قلب هذا الأخير مثلث سوسير جاعلا اللسان في قاعدته، راسما بذلك مرحلة قائمة بذاتها، امتدّت إلى أيامنا هذه، عرفت نماذج نحوية مختلفة، تميّزت باتّجاهها التوليدي التحويلي، الذي درس اللغة وفق مصطلح مفهوم اللّسان عند **سوسير** أي كقدرة كامنة عند الإنسان، تجعله قادرا على النطق، وإصدار أصوات مع ربطها بمعانٍ ومدلولات...

ثم جاءت مرحلة أخيرة، بدأت من أواسط السبعينات، عرفت بلسانيات الخطاب، وتميّزت بمنهجها الذي استنار بفكرة الكلام عند سوسير، إذ أصبح موضوع اللسانيات مرتبطا بالشخص المتكلم وأفعاله الكلامية المحققة، وطرق استعماله لها، وبذلك يكون **(هيمس)** قد أعاد ترتيب أضلاع مثلث سوسير، جاعلا قاعدته ترتكز على الكلام.

وبهذا لا تعْدو الحقيقة إن أرجعنا فضل تفجير الثورات الثلاثة إلى سوسير، سواء بتفكيكه قاعدة مثلث العلامة اللغوية (المرجع) أو بتفكيك ضلعي (اللسان/الكلام) ليحتفظ بقاعدة المثلث اللغة، فهو بعمله هذا قد رسم ملامح أول مرحلة لسانية، نصطلح على تسميتها بمرحلة الدّاليات، تلتها مرحلة الدلاليات، ثم مرحلة التداوليات.

1-مرحلة الداليات:

ونعني بها التوجه اللساني الجديد المتمثل في البنوية، التي ركزت أبحاثها على تقطيع دوال العلامات اللغوية (سواء كانت كلمات أو جمل)، وتفتيتها إلى عناصرها الأساسية، باحثة عن العلاقات المنظمة لها والقوانين الداخلية المتحكمة فيهما.

وقد تأثر بهذا المنهج السوسيري لغويون كبار أمثال: **تروبتسكوي Nicola Troubetskoy** رئيس نادي حلقة براغ **وبلمسليف Louis Hjelmsleo** الدانماركي رئيس نادي كوبنهاغن **ومارتنييه André Martinet** زعيم البنويين الوظيفيين في فرنسا.

أما في أمريكا فقد مثلها زعيمها **بلومفيلد [1887-1949 Leonard Bloomfield]** وهاريس **[Harris Zellg 1909]** وتلميذه **تشومسكي**.

والجامع لكل من انضوى تحت راية البنوية، من هؤلاء الأعلام وغيرهم، في أوروبا أو أمريكا، هو هذا التوجه العلمي الصارم الذي أحدث قطيعة تامة مع الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة، وأسس لمنهج علمي لساني، يماثل مناهج العلوم الطبيعية.

وعليه انحصر هم البنوية في **الداليات**، وابتعدت عماله علاقة بالدلاليات (المدلولات) وبالتداوليات (كل ماله علاقة بالمرجع)؛ لأنّ العناصر والعلاقات التي ترجع إليها تستعصي على الضبط والتقنين.

2-مرحلة الدلاليات:

وترتبط بالمنهج التوليدي التحويلي الذي ساد الدراسات اللغوية، في نهاية الخمسينات وخاصة منذ أواسط الستينات، مع ماعرف بالدلالة التوليدية، لأن نموذج تشومسكي في نهاية الخمسينات وخاصة منذ أواسط الستينات، مع ما عرف بالدلالة التوليدية، لأن نموذج تشومسكي الأول، يعتبر بنيويا توليديا، وتتميّز هذه المرحلة بمنهجها العقلي الذي وجه الدراسة اللغوية وجهة جديدة، حيث ثار على المنهج البنوي الذي اكتفى بوصف الظاهرة اللغوية وتصنيفها (دون أن يفسرها أو يعلّلها) انطلاقا من مدونة لغوية محدودة، في حين أن منهج تشومسكي الجديد يصف ويفسر ويعلّل ما ظل معروفا **بالقدرة اللغوية Compétence** للمتكلم/السامع، وهي قدرة لا تمكن من إنتاج مدونة لغوية محدودة فحسب، بل تمكن من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة.

وبهذا المنهج الجديد، رسم تشومسكي اتجاها جديدا للدراسة اللغوية، سار فيه أتباعه أمثال: **كاتز (Katz) وفدور (Fodor) ولايكوف (Lakoff) ومكاولي (Mac cawley) وبوستال (Postal) وصادوك (Sadock)** وأنتجوا نماذج نحوية في إطار المنهج التوليدي التحويلي بصفة عامة، وإطار الدلالة التوليدية بصفة خاصة.

والجامع لهؤلاء وغيرهم هو أنهم أدخلوا عنصر الدلالة كمكون أولي أي ضمن البنية العميقة خلافا لشومسكي، وبذلك فتحوا الباب على مصراعيه لثورة الدلاليات، ليس بتكثيف البحوث في مجال الدلالة فحسب بل بتناولهم مدلول العلامة اللغوية، أو ما أسموه بالنسبة الدلالية (كلمة كانت أو جملة...) حيث شرحوها وفتتوها إلى عناصر وذات سيمية لا تقبل التجزئة، مكتشفين وظائفها وعلاقاتها المنظمة لها، في محاولة علمية جادة لتقنينها تقنينا رياضيا دقيقا بعد أن كانت مستعصية على التقنين في المرحلة السابقة.

3-مرحلة التداوليات:

وهي المرحلة اللسانية التي دشنها **هايمس** عالم الأجناس الأمريكي، بشنه هجوما عنيفا على التصوّر التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني، سواء مع رائد اللسانيات الحديثة **سوسير** الذي حصر موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام، أو صاحب النظرية التوليدية التحويلية **تشومسكي** الذي قصر موضوع تنظيره على القدرة اللغوية، دون الكلام أو التأدية **(performence)**، وهكذا دشن **هايمس** وعلماء الاجتماع من بعده اتجاها جديدا للدراسات اللغوية، يقوم على ما أصبح معروفا اليوم **بالقدرة التواصلية (comptence de communication)** عوض القدرة اللغوية لتشومسكي التي أضحت أحد مكونات القدرة التبليغية للمتكلم/السامع، فقد انتقد هايمس تشومسكي في مقال شهير سنة **1971** قائلا: "إن نظرية تشومسكي القائمة على توليد الجمل اللغوية المختلفة صحيحة تماما، إذا كان المقصود منها وصف اللغة ككيان مستقل بذاته بعيدا عن المواقف الاجتماعية، والحياة التي تستخدم فيها اللغة، لكن اللغة لا قيمة لها ككيان مستقل.

فهي ليست قوالب وصيغ وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة كالطلب والترجي والأمر والنهي والدعاء والوصف والتقرير... وغير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية.

وبهذا الانتقاد المشهور لهايمس أعيد الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوّة كنظريات أفعال اللغة العادية ونظريات التداول والملفوظية ونظريات النحو الوظيفي وخاصة نظرية **النحو الوظيفي لسمون ديك (Simon Dick)** وما يجمع هذه النظريات والبحوث، هو تركيزها على مرجع العلامة اللغوية، أو المكون التداولي **(composante pragmatique)** للكلمة أو الجملة أو النص، الذي أصبح مضبوطا بوظائف تداولية محددة ترتبط بسياقات وطبقات مقامية وبشبكة من العلائق المختلفة كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين، والعلاقات المنطقية التي تضبط

محاوراتهم... الخلاصة أن هذه البحوث سعت ومازالت في سعي دؤوب، لوضع مبادئ عامة تضبط وتقنن بها كل ما له علاقة بالسياق، وقد نجحت فعلا في غزو النماذج التوليدية الأخيرة، لذا باتت تدخل المكون التداولي في الجهاز الواصف لأنحائها.

4-التيار التداولي:

مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والطبقات المقامية والسياقات التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللغات الطبيعية.

*من منظور نظرية الأفعال الكلامية لا تكون اللغة مجرّد أداة للتواصل كما تتصوّرها المدارس الوظيفية، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصناعة أحداثه والتأثير فيه.

*تطبيقها (التداولية) على اللغة العربية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية المتواصلة.

5-علاقة اللسانيات التداولية بالنحو الوظيفي:

لقد سبق الحديث بأنّ النحو الوظيفي يعد أهم روافد للدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية الحديثة، بل إنّ من الدّارسين من جعل (الوظيفية) في عموم معناها تقابل التداولية من مبدأ أنّ خصائص بنيات اللغات الطبيعيّة تتحدّد من ظروف استعمالها.

كما أنّ النّحو الوظيفي المقترح من طرف "سيمون ديك" في السبعينات يجمع بين المقولات النحوية المعروفة، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام.

وإذا عُدّ تداول اللغة مظهرا من مظاهرها إلى جانب المعجم والتركيب فإنه يمكن القول إنّ النحو الوظيفي، وهو يحدّد أهدافه في تحقيق كفاية نفسية، كفاية تداولية وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامة للتفسير التداولي للخطاب.

ويذهب "سيمون" إلى أبعد من ذلك حين يقترح أن يدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية وُسْعى، أو نظرية لغوية شاملة تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة.

قائمة المراجع:

-أحمد المتوكل:

-المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي -الأصول والامتداد-، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013.

-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، دار الأمان، الرباط، 2001.

-التركيبات الوظيفية -قضايا ومقاربات-، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005.

-اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، 2010.

-الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2016.